الباب الثاني

البحث النظري

١. معرفة البلاغة

البلاغة لغة هي الوصول والانتهاء، والمتكلم العاجز عن إيصال كلام ينتهى إلى قرارة نفس السامع ليؤثر فيها تأثيرا شديدا لا يسمى بليغا. والبلاغة اصطلاحا هي أن يكون الكلام فصيحا قويا فنيا يترك في النفس أثرا خلابا، ويلائم الموطن الذي قيل فيه، والأشخاص الذين يخاطبون.[٩]

قال أبو هلال العسكري (البلاغة) من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري. ومبلغ الشيء: منتهاه، والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته.[١٠]

قال الإمام على كرم الله وجهه: البلاغة إيضاح الملتبسات وكشف عوّار الجهالات، بأسهل ما يكون من العبارات.

وقال ابن المقفع: البلاغة كشف ما غمض من الحق. وتصوير الحق في صورة الباطل.

---

[٩] أحمد قلاش، ١٩٩٥، *تيسير البلاغة*، ص: ٥

[١٠] بدوى صبانة، *معجم البلاغة العربية*، (بيروت: دار ابن حزم. ١٩٩٧)، ص: ٧٨

وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث: البلاغة الفهم والإفهام، وكشف المعاني بالكلام ومعرفة الإعراب، والاتساع في اللفظ، والسداد في النظم، والمعرفة بالقصد، والبيان في الأداء، وصواب الاشارة، إيضاح الدلالة، والمعرفة بالقول والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار، وإمضاء العزم على حكومة الاختيار.[١١]

عرّف عمرو بن عبيد البلاغة فقال: (فكأنّك تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام). ثم أضاف إلى ذلك معنى دينيا، بقوله: (إنّك إذا اوتيت تقرير حجّة الله في عقول المكلّفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشّواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنّة، كنت قد اوتيت فصل الخطاب، واستحققت على الله جزيل الثّواب). ولعلّ أبلغ تعريف وأوجزه هو ما عّرف به الأصمعي البلاغة، فقال: (من طبق المفصل، أغناه عن المفسر).

وعرّف العسكريّ البلاغة بأنّها مبلغ الشّيء ومنتهاه، فقال: (والمبالغة في الشّيء الانتهاء إلى غايته، فسمّيت البلاغة بلاغة لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السّامع فيفهمه، وسمّيت البلاغة بلغة لأنّك تتلّغ بها فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلا غ أيضا. والبلاغة

[١١] احمد باحميد لسانس اداب، *درس البلاغة العربية*، (جاكرتا: راجاوالي فرس. ١٩٩٦)، ص:٢-٣

كلّ ما تبلغ به قلب السّامع فتمكنه من نفسك كتمكنه في نفسك، مع صورة مقبوله ومعرض حسن).[١٢]

عند الهاشمي البلاغة في اللغة (الوصول والانتهاء) يقال بلغ فلان مرادة – إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة – إذا انتهى إليها ومبلغ الشيء منتهاه. وتقع البلاغة في الاصطلاح: وصفا للكلام، والمتكلم فقط.

ولا توصف الكلمة بالبلاغة، لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه، ولعدم السماع بذلك.

البلاغة في الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب، مع فصاحة ألفاظه مفردها ومركبها.

والكلام البليغ هو الذي يصوره المتكلم بصورة تناسب أحوال المخاطبين. وحال الخطاب (ويسمى بالمقام) هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة دون أخرى. والمقتضى (ويسمى الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.

مثلا (المدح) حال يدعو لا يراد العبارة على صورة الإطناب.

وذكاء المخاطب – حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز.

فكل من المدح والذكاء (حال ومقام).

[١٢] انعام فوال عكاوى، *المعجم المفصل في علوم البلاغة*، (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٦)، ص: ٢٦٨

وكل من الإطناب و الإيجاز (مقتضى).

وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز (مطابقة للمقتضى) وليست البلاغة إذا منحصر في إيجاد معان جلبلة، ولا في اختيار ألفاظ واضحة جزيلة. بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمرا ثالثا هو إيجاد أساليب مناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ مما يكسبها قوة وجمالا.

وملخص القول أن الأمر الذي يحمل المتكلم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى: يسمى (حالا) وإلقاء الكلام على هذه الصورة التي اقتضاها الحال يسمى (مقتضى) والبلاغة هي مطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال.

بلاغة المتكلم: هي ماكة في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ: مطابق لمقتضى الحال. مع فصاحته في أي معنى قصده.

وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب خبرا، وعرف سنن تخاطبهم في منافراتهم، ومفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم، وشكرهم، واعتذارهم، ليلبس لكل حالة ليوسها، ولكل مقام مقال.[١٣]

[١٣] احمد الهاشمي، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، (لبنان: دار الفكر. ١٩٩٤)، ص: ٢٨-٣١

٢. معرفة البديع

في معجم البلاغة العربية، البديع هو علم تعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال وهو احد علوم البلاغة الثلاثة (المعاني، والبيان، والبديع) ومن البلاغيين من يسمى هذه العلوم الثلاثة (علم البديع) ويعللون هذا الإطلاق بأن البديع هو الشيء الذي يستحسن لطرافته وغرابته، وعدم وجود مثاله من جنسه، وهذه العلوم كذلك ومنهم من يسمى علمى (البيان والبديع) علم البيان، تغليبا للبيان المتبوع على البيان التابع.

ووجوه تحسين الكلام التي يبحث فيها (علم البديع) قسمان: قسم يرجع إلى المعنى. وقسم يرجع إلى اللفظ، فهو علم المحسنات اللفظية، والمحسنات المعنوية.[١٤]

البديع لغة المبدع والحصن يقال: أبدع الشاعر أي أتى بالبديع والبديع الجديد وهو فعيل بمعنى مفعول كجريح أو بمعنى مفعل كحكيم بمعنى حكم تقول: بدع هذا يبدعه فهو بديع أي مبدوع كما تقول: أبدع هذا يبدعه فهو مبدع. أما معناه في اصطلاح علماء البلاغة فهو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال والواضح الدلالة.

[١٤] بدوى صبانة، معجم *البلاغة العربية*، المصدر السابق، ص: ٦٩

أما نشأ هذا العلم لقد ذكر البديع في كلام العرب والبلغاء في عصرى الجاهلية والإسلام عفوا دون أن يقصدوا إليه أو يتعمدوه لأن بلاغتهم الفطرية أغنتهم عن ذلك ولما تثعب الخيال ونما بظهور المدنية والحضارة جال الشعراء جولتهم فاخترعوا وابدعوا الكثير منه وذلك في العصر العباسي ومن رجالات هذا العصر العباسي الشاعر المفلق الغواص على المعاني المتذوق لصحر اللغة العربية وجالها عبد الله بن المعتز فهو أول من وضع هذا العلم وألف فيه كتابا سماه "البديع" وذكر فيه خمسة أبواب هي الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد العجز على الصدر والمذهب الكلامي.[١٥]

وقال أحمد قلاش أن علم البديع هو فراجع إلى تحسين اللفظ وتزيينه، كوضع أزرار وورود وزخارف لتزيين ثوب العروس بعد تمام خياطته، وكنقوش الدهان بعد تمام البنيان، ورتبته التأخير عن الجميع.[١٦]

عند الهاشمي أن البديع لغة هو المخترع الموجد على غير مثال سابق. وهو مأخوذ ومشتق من قولهم: بدع الشيء وأبدعه، اخترعه لا على مثال. واصطلاحا هو علم يعرف به الوجوه، والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا، بعد مطابقته لمقتضى الحال. مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى.[١٧]

---

[١٥] محمود شيخون، *محاضرات في علم البديع*، (القاهرة: دار الطباعة المحمدية. ١٩٧٣)، ص: ٤

[١٦] أحمد قلاش، *تيسير البلاغة*، المصدر السابق، ص: ١٠

[١٧] احمد الهاشمي، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، المصدر السابق، ص: ٣٠٨

وذكر في (بلاغة الوافية) البديع في اللغة: الجديد المخترع، لا على مثال سابق، ولا احتذاء متقدّم، يقال: أبدع الشيء أي: اخترعه لا على مثال، ومنه البديع اسم من أسماء الله – تعالى – بمعنى المبدع أي: الموجد للأشياء بلا مثال تقدم.

وفي اصطلاح علماء البلاغة: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المعنى المراد.[١٨]

وملخص القول أن علم البديع قسمان: محسنات المعنوية هي ماقصد بها تحسين المعنى أولا، وإن تبعه تحسين اللفظ. ومحسنات اللفظية هي ما قصد بها تحسين اللفظ أولا، وإن تبعه تحسين المعنى.

٣. معرفة السجع وانواعه

السجع هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الآخر. والفاصلة هي الكلمة الأخيرة من جملة مقارنة لأخرى، ويسمى كل واحدة من هاتين الجملتين، قرينة، لمقارنتها لأخرى كما تسمى (فقرة) وهو على ثلاثة أنواع:

المطرف: ما اختلف فيه الفاصلتين في الوزن مع الاتفاق في التقفيه كما في قوله تعالى: "مَا لَكُمْ لَا تَرْجُوْنَ لِلّٰهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا" (فوقارا) فاصلة القرينة الأولى

[١٨] محمود السيد شيخون، *البلاغة الوافية*، (القاهرة. دار البياع للنشر. *١٩٩٥*) ص: ١٢٥-١٢٦

لأنه الكلمة الأخيرة منها (وأطوارا) فاصلة القرينة الثانية، وقد اختلفتا في الوزن لأن ثاني (وقارا) متحرك، وثاني (أطوارا) ساكن، وكلتا االقافيتين الراء.

والمرصع: ما كان فيه إحدى القرينتين كلها أو جلها مثل مايقابلها من الفقرة الأخرى في الوزن والتقفيه كما في قول الحريرى: "فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه". فجميع مافي القرينة الثانية موافق لما يقابله من الأولى وزنا وتقفية فيطبع موازن (ليقرع) والقافية فيهما العين، (والأسجاع) موازن (للأسماع) والقافية فيهما العين أيضا، (وجواهر) موازن (لزواجر) والقافية فيهما الراء، (ولفظه) موازن (لوعظه)، والقافية فيهما الظاء ولو أبدل لفظ الأسماع بالآذان كان مثالا لما يكون أكثر مافي القرينة الثانية موافقا لما يقابله من الأولى. ومثله قول أبى الفضل الهمذاني: إن بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا وقول أبى الفتح البستى: (ليكن إقدامك توكلا، وإحجامك تأملا)

والمتوازي: هو ما لا يكون جميع ما في القرينة، ولا أكثره مثل ما يقابله من الأخرى، وهذا صادق بأمور ثلاثة

(١)أن يكون الاختلاف في الوزن والتقفية معا

(٢) أن يكون الاختلاف في الوزن دون التقفية

(٣) أن يكون الاختلاف معكوسا

فمثال الأول قوله تعالى: "فِيْهَا سُرُرٌ مَرْفُوْعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوْعَةٌ". فالقرينتان هما: (سرر مرفوعة، وأكواب موضوعة)، ولفظ (فيها لا اعتبار له لعدم وجود ما يقابله) (فسرر) وهو نصف القرينة الأولى يقابله (أكواب) من القرينة الأخرى، وقد اختلفتا وزنا وتقفية.

ومثال الثاني قوله تعالى: "وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا" فقد اختلف (المرسلات، والعاصفات) في الوزن، فالأولى على زنة "مفعلات" والثانية على زنة "فاعلات"، ولكنهما ترافقتا في التقفية إذ أن قافيتهما معا هي التاء.

ومثال الثالث قولهم: "حصل الناطق والصامت، وهلك الحاسد والشامت" (فحصل) في القرينة الأولى على زنة هلك، في القرينة الثانية، ولكنهما اختلفتا تقفية إذ أن قافية الكلمة الأولى هي "اللام" وقافية الثانية هي "الكاف"، وكذا يقال في الناطق والحاسد.

ومن لطيف السجع قول البديع الهمذانى من كتاب له: كتابي والبحر وإن لم أره فقد سمعت خبره، والليث وإن لم ألفه، فقد تصورت خلقه، والملك العادل وإن لم أكن لقيته قد لقينى صيته، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى أكثره. واعلم: أن فواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز موقوفا عليها لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا بتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف والبناء على السكون كقولهم: (ما أبعد

مافات، وما أقرب ما هو آت) فإنه لو اعتبر الحركة لفات السجع لأن التاء من (فات) مفتوحة، ومن (آت) مكسورة منونة، وهذا غير جائز في عرف القوافي، ولا يتحقق فيه التزاوج بين الفواصل.[١٩]

وذكر في (بغية الإيضاح) السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهذا معنى قول السكاكى الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر. وهو ثلاثة أضراب:

١. السجع المطرف هو الفاصلتين ان اختلفتا في الوزن فهو السجع المطرف كقوله تعالى "مَا لَكُمْ لَا تَرْجُوْنَ لِلّٰهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا "

٢. السجع الترصيع: وإلاّ فإن كان في احدى القرينتين من الألفاظ أو أكثر ما فيها مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن والتقفية فهو الترصيع كقول الحريرى: فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه. وكقول أبي الفضل الهمذانى: ان بعد الكدرصفوا وبعد المطرصحوا. وقول أبي الفتح البستى: ليكن اقدامك توكلا واحجامُك تأملا.

[١٩] حامد عوني، *مذكرة في البلاغة*، (دار الكتب العربي بمصر. ١٩٥٢)، ص: ١٨٢-١٨٤

٣. السجع المتوازي: والا فهو السجع المتوازي، كقوله تعالى (فِيْهَا سُرُرٌ مَرْفُوْعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوْعَةٌ) وفي دعاء النبي صلى الله عليه وسلم "اللهم اني أدر أبك في نحورهم، وأعوذبك من شرورهم".

وشرط حسن السجع اختلاف قرينته في المعنى كما مر لا كقول ابن عباد في مهزومين: طاروا واقين بظهورهم صدورهم وبأصلابهم نحورهم. قيل: وأحسن السجع ما تساوت قرائنة كقوله تعالى (فِيْ سِدْرٍ مَخْضُوْدٍ، وَطَلْحٍ مَّنْضُوْدٍ، وَظِلٍّ مَمْدُوْدٍ) ثم ما طالت قرينته الثانية، كقوله (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) أو الثالثة كقوله تعالى (خُذُوْهُ فَغُلُّوْهُ، ثُمَّ الْجَحِيْمَ صَلُّوْهُ) وقول أبي الفضل لليكالى: له الأمر المطاع، والشرف المفاع، والمرض المصون، والمال المضاع، وقد اجتمعا في قوله تعالى (وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) ولا يحسن أن تولى قرينة قرينة أقصر منها كثيرا لأن السجع اذا استزف أمده من الأولى لطولها، ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرا يكون كالشيء المبتور ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها، والذوق يشهد بذلك ويقضى بصحته. [٢٠]

[٢٠] عبد المتعال الصعيدي، *بغية الإيضاح*، (القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٩٠)، ص: ٨٠-٧٨

السجع هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر. وأفضله ما تساوت فقره، وهو ثلاثة أقسام:

١. السجع المطرف، وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في التقضية، نحو قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُوْنَ لِلّٰهِ وَقَارًا، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤]

٢. السجع المرصع، وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية، مثل قول الحريري: هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه، مثل قول الهمذاني: إن بعد الكدر صفوا، وبعد المطر صحوا.

٣. السجع المتوازي، وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتقفية نحو قوله تعالى: ﴿فِيْهَا سُرُرٌ مَرْفُوْعَةٌ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوْعَةٌ﴾ [الغاشية: ١٣-١٤] لاختلاف سرر، وأكواب، وزنا وتقفية، ونحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا، فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات: ١-٢] لاختلاف المرسلات، والعاصفات وزنا فقط. والأسجاع مبنية على سكون أواخرها، وأحسن السجع ما تساوت فقره، نحو قوله تعالى: ﴿فِيْ سِدْرٍ مَخْضُوْدٍ، وَطَلْحٍ مَّنْضُوْدٍ، وَظِلٍّ مَمْدُوْدٍ﴾ [الواقعة: ٢٨-٣٠].

ثم ما طالت فقرته الثانية، نحو قوله تعالى: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى" [النجم: ١-٢] ثم ما طالت ثالثة، نحو قوله تعالى: "النَّارِ ذَاتِ الْوَقُوْدِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُوْدٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُوْنَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ شُهُوْدٌ" [البروج: ٥-٧] ولا يحسن عكسه، لأن السامع ينتظر إلى مقدار الأول، فإذا انقطع دونه، أشبه العثار، ولا يحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة، والألفاظ خدم المعاني، ودلت كل من القرينتين على معنى غير ما دلت عليه الأخرى، وحينئذ يكون حلية ظاهرة في الكلام.[٢١]

وذكر معجم المفصل في علوم البلاغة أن السجع طريقة في الإنشاء سارت منذ القديم في النثر العربي وراجت كثيرا في عصور التنميق مع ماراج من محسنات بديعية. وهي تقوم على اتفاق فاصلتي الكلام في حرف واحد من التقفية. وقد تفنن الكتاب كثيرا في استعماله، فجاء على أربعة أقسام:

١. السجع المطرف وهو ما اختلفت فيه الفاصلتان وزنًا واتّفقتا في حرف السجع، كقوله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا، وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا" [النباء: ٦-٧]

[٢١] احمد الهاشمي، *جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع*، المصدر السابق، ص: ٣٥١-٣٥٢

٢. السجع المتوازي وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا ورويا، كقول الحريري أبو القاسم صاحب المقامات: (أودى بي الناطق والصامت، ورثى لي الحاسد والشامت).

٣. السجع المرصع وهو ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية، كقوله تعالى: "إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيْمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيْمٍ" [الإنفطار: ١٣-١٤].

٤. السجع المتوازن وهو أن تتفق الفاصلتان في وزن واحد دون تقفية، كقولهم: (الناس كالأهداف، لناب الأمراض) وبعضهم لا يعتبر هذا النوع من السجع.[٢٢]

[٢٢] انعام فوال عكاوى، *المعجم المفصل في علوم البلاغة*، مصدر السابق، ص: ٥٧٨